رؤية حول بناء الجملة الفعلية
في اللغتين العربية والإسبانية
وفقاً لعلم اللغة المعاصر

عبدالفتاح عوض

أستاذ اللغة الإسبانية ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

تعالج هذه الرؤية بنيـة الجملة الفعلية في اللغـتين العربية والإسبـانية وتؤكد أن الجملة تتكون من فعل وفاعل ومفعول به أيّاً كـان ترتيب الكلمات فيها، سواء كان على شكل: فاعل وفعل ومفعول به VSO أو على شكل: مفعول به وفعل وفاعل OVS. وتؤكد هذه الرؤية على أهمية المعنى في صيـاغة وتحليل بنية الجملة، وتعدّ الجملة الفعلية العامل الرئيس والمفهوم الرئيس في قواعد اللغتين العربية والإسبانية، وتحاول وضع تعريف جـديد للجملة الفعلية، ووضع طريقة جـديدة لمعالجة بعض التصنيفـات النحوية، مثل التوكـيد في "كان" التي تدخل على الجملة الاسـمية، والبنية المؤلفة من جملة تبدأ بأداة شرط، كل هذا في ضـوء قواعد النحو التحويلي والنحو الوظيفي (الموضع الوظيفي للكلمات في الجملة).

ويتأكـد ذلك بما تعنيه اللغة للإنسـان بما تقدمه له وكيف يقـدم هو اللغة وذلك عندما تتآلف لغات متعـددة فيما بينها. ولهذا فإنه يمكن اختيار لغات مـتباعدة فيما بينها كـحالتنا هذه بلغـتنا العربية واللغـة الاسبانيـة. ومن هنا قد تطرأ اختـلافات وتشابهات بين كلتـا اللغتين. وربما يكون في إمكاننا أن نصل إلى معلومات دقـيقة عندما تدور المقارنة بين لغات متقاربة ومن أسرة لغـوية واحدة كالإسبانية والفرنسية والإيطالية والبرتغالية والرومانية كون مصدرها الأم هو اللغة اللاتينية. إنني هنا في محاولة لأن أشـغل نفسي بلغتنا العربيـة الأم واللغة الإسبانية التي أتعلمـها وأقوم بتعـليمهـا. وقد جـاء هذا الاختـيار على أسـاس أن كلتا اللغـتين تقدمـان أفضل الافتراضات لعقد مقارنة تحت أي منظور بينهما.

والكلمة ليست هي الفكرة وأن التعبير اللغوي للفكرة ليس هو الفكرة ذاتها. إن لغتنا الأم تقودنا إلى التحقق من الكـلمة بالفكرة، وهذا أمر قابل للفهم والإدراك.

إذ إننا في كلمات وجمل لغتنا الأم تعلمنا للوهلة الأولى أن نسمي الأشياء ونتكلم عن العالم الذي يحيط بنا. هذا العالم هو إذن عالمنا الذي نعيش فيه. ولهذا فنحن على اقتناع بأن ما يدور في هذا العالم هو نفسه الذي نراه بأننا نملك العالم في لغتنا الأم وأن لغتنا هي عالمنا. وهذا الخطأ قابل للمناقشة والجدل، بل ضروري للمناقشة. كيف يمكننا أن نتحدث بجدية واقتناع إذا لم يكن لدينا الوعي ـ ولو كان زائفاً ـ بأننا بالكلمات نمتلك العالم نفسه؟

وإلى أن نتعلم لغات أخرى، فإننا لن نتعود على الأشكال والصيغ التي لا توجد بشكل واضح في لغتنا الأم. وإلى أن يكون لدينا الخبرة الكافية فإننا لن نتحرر من اعتقادنا الطفولي بأن العالم الذي يحيط بنا والموجود بداخلنا هو وينبغي أن يكون بما نسميه في لغتنا الأم.

ولكن فقه اللغة يحثنا ويدفعنا إلى الخطأ بشأن التحقق من الكلمة مع الفكرة. إن عالم اللغة تبدأ معرفته ورؤيته للغة من وجهة نظر أدب الإبداع. إنه يتعلم متابعة انعكاس وصدى الصيغ والأشكال اللغوية حتى آخر دقائقها وشرحها وتفسيرها. ومن ثم تتحول أشكال اللغات في عالمها وفي واقعها. وعندما يهتدي عالم اللغات باللغة، فإنه سرعان ما يقع في أغوائها بوصف هذه اللغة هي العالم. ولهذا فإن اللغات بالنسبة لعالم اللغة (باحث اللغة) تمثل قيمة ذاتية خاصة، تتمثّل في جعل الشيء الذي لا يقارن قابلاً للمقارنة وأن هذه القيمة الخاصة تعني استحالة الترجمة. وهذه الاستحالة هي التناقض الظاهري لباحث اللغة: أن القيمة الخاصة للغة لا يمكن أن توجد بدون ترجمة وأن باحث اللغة مقتنع من داخله بأن هذه القيمة الخاصة مستحيل ترجمتها.

كما أن عالم اللغة الباحث يقوم بتجريب، مرة ومرات، فردية اللغة في آخر مرحلة لعدم إمكانية ترجمتها باعتبار الفردية والخصوصية لكل لغة دون غيرها.

ولكن مع هذا فإن عالم اللغة لا يكون راضياً، لأن هذا يطرح شيئاً مجهولاً. ومن ثم يتساءل: ماذا يعني تنوع الأشكال والصيغ والبنى اللغوية لثلاثة آلاف لغة تزخر بها البشرية دون أن نأخذ في الحسبان اللهجات التي لا تحصى؟ هل تعكس هذه اللغات واللهجات خبرات العالم المتعددة والاعتبارات والرؤى الكونية والفكرية للشعوب التي تتكلّم هذه اللغات؟ وإلى أي درجة تكون كل لغة ذات رؤية كونية مميزةٍ ومميزةً؟

إن المعجم اللغوي هو انعكاس لعالمنا، العالم المحيط بنا وعالمنا الداخلي. في كل اللغات توجد كلمات للسماء والأرض، النار والمياه، الشمس والقمر والنجوم، الرجل والمرأة والطفل، للجوع والخوف والغضب، للحب والمرض والموت. هذه الكونية للغة تشهد عالمية وشمولية عالمنا، عالم الأحياء والتعايش الإنساني فوق الأرض.

ويرتضي الباحثون اللغويون تصنيف الجملة في أية لغة وفقاً لترتيب وانتظام كلماتها للوصول إلى المعنى الذي يريد المتحدث أن ينقله إلى السامع. وقد نهج النحاة واللغويون العرب القدماء لتصنيف الجملة في اللغة العربية ودراستها منهجين: تركيبي تقسم الجملة في ضوئه قسمين: اسمية وفعلية، ثم وصفوها بالكبرى أو الصغرى[1]، وبلاغي يتعلق بالمعنى، وتقسم الجملة في إطاره إلى إنشائية وإخبارية، وقد زاد بعض المعاصرين قسماً مستقلاً آخر في هذا الإطار أسموه الإفصاحية، فالجملة[2] الفعلية عندهم هي التي تبدأ بفعل: قام زيد، وأما الاسمية فهي المبدوءة باسم، مثل: زيد أخوك، زيد قام، ونضيف: أن منها ـ في رأيهم ـ الجملة المبدوءة باسم مرفوع متقدم على فعله، لتُخْرجَ منها: خالداً أكرم عليٌّ، التي هي جملة فعلية على الرغم من أنها مبدوءة باسم منصوب هو المفعول

(١) السيوطي: الأشباه والنظائر، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٥، ص ١٢-١٣.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، بيروت، عالم الكتب، ص٢٠.

به للفعل أكرم، ذلك لأن موقعه بعد الفاعل، ولا لبس في تقدمه، لعدم التماثل بين حركته وحركة المبتدأ، على غير ما هو في: عليٌ أكرم خالداً، التي هي جملة اسمية. يُعدّ التوكيد من أهم المعاني التي يتم تغيير مواقع الكلم في الجملة لتحقيقها. وقد أخذ التركيز على أهمية المعنى، الذي يتحقق بتغيير ترتيب الكلم في الجملة، يزداد التنبه إليه في أبحاث الباحثين المحدثين بعد أن ظهرت نظرية النحو التوليدي والتحويلي في كتابات العالم الأمريكي المعاصر تشومسكي[1]:

ذلك لأن هذه النظرية تعتمد بشكل رئيس على المنهج الوصفي للغة في محاولة للوصول إلى المعنى المراد من الجملة، وبخاصة في الجمل المترادفة أولاً مثل:

María cogió la flor.

La flor fue cogida por María.

وفي الجمل الملتبسة ثانياً مثل:

Visitando puede ser arrastrado.

الأمر الذي دفع تشومسكي إلى إبراز نظرية مركزها: أن لكل جملة مستويين في البحث: الأول ويسميه: البنية السطحية estructura superficial، وتضبطه القوانين والقواعد التي تتحكم في نظم الكلمات الرئيسة الظاهرة في الجملة. والثاني ويسميه: البنية التحتية أو العميقة estructura profunda، وهي بناء الجملة بكيفية معينة في انتظام معين بتقديم وتأخير، وحذف وإضمار واستتار، في ضوء قواعد وقوانين التحويل Reglas transformacionales التي تهدف تحقيق المعنى المراد والتركيز على جانب من جوانبه ممثلاً في مبنى صرفي من مباني الجملة[2].

(1) Noam Chomsky: Estructuras sintácticas, introducción, notas, apéndices y traducción de C.P. Otero, Madrid, Siglo XXI editores, 1975.

(2) Noam Chomsky: Aspectos de la teoría da la sintáxis, versión española de C.P. Otero, Madrid, Aguilar, 1976, pp. 10, 16-18, 139.

وما لم تكن هناك ضرورة للتغير في مواقع الكلم أو المباني الصرفية لأمر يتعلق بالمعنى فإن المستويين يتطابقان. وإن مثلتْ تلك الضرورة فإن في الجملة عدداً من الكلمات تعد الأركان الرئيسة فيها، وعليها تقوم قواعد بناء الجملة في الأصل، تلحق بها بقية كلمات الجملة فتأخذ مواقعها في ضوء قواعد النحو التحويلي. ويرى بعض العلماء أن معظم لغات البشر في العالم يمكن أن تحصر تراكيبها الأصل في ثلاثة نظم رئيسة هي SVO، VSO، SOV وعلى ذلك فلابد أن يكون لكل جملة في أية لغة تركيبان يعبران عن المعنى العميق يخضعان لقوانين النحو التحويلي، وتركيب واحد يمثل البنية السطحية ويخضع لقوانين النحو التوليدي. وقد رفض علماء اللغة هذا التعميم الذي يصبغ بعض القواعد والقوانين بالصبغة العالمية، ويرون أن لكل جملة في أية لغة تركيباً أصلاً (جوهر) estructura real (núeleo)، له قواعده وقوانينه التي قد تختلف من لغة إلى أخرى، ثم يضاف إلى هذا التركيب الأصل عدد من المباني لتحقيق المعنى العميق الذي يرمي إليه مستعمل اللغة، فتظهر الجملة في وضعها الأخير متمشية مع القوانين والقواعد العامة للغة والنحو[1]، ويرى قسم آخر من علماء اللغة وهم أصحاب نظرية حديثة ترجع إلى سنة ١٩٧٥م وتسمى النحو العلاقي Gramática Relacional يرون أن قواعد النحو التحويلي هي الأساس الذي تبنى عليه قواعد التركيب الجملي[2]، القائمة على إدراك العلاقات بين الكلمات في الجملة، وبه يتم الوصول إلى المعنى العميق

(1) J. F. Staal: Word order en Sanskrit and universal grammer, Dordrect, Holand. D. Reidl publishing Co., 1967, p. 80 Y ss.

(2) F. Newmeyer: Relational Grammer and Autonomous Syntax, Papers from the 12th Regional Meeting, Chicago Lingustic Society, 1978, p. 150.

أو البنية التحتية[١]، خلافاً لما يراه تشومسكي الذي يعدّ العلاقات بين الكلمات في الجملة Relaciones gramaticales في الدرجة الثانية من الأهمية. ويرى أن الكلمات تنتظم في الجملة على أساس تركيبي تلقائي لتحقيق البنية التحتية أو التركيب العميق[٢]، ومنهم من يرى أن التركيب الجملي الأساس الذي يحقق المعنى الأصل من الجملة في معظم لغات العالم هو VSO، وباستعمال مجموعة من القواعد التحويلية المتعلقة بالاسم والمشتركة بين لغات العالم، يتم تحويل هذا التركيب إلى SVO، وباستعمال مجموعة أخرى تتعلق بالفعل يتحول التركيب إلى SOV.[٣]

ويعدّ أصحاب هذه النظرية اللغة العربية بين اللغات التي ينطبق عليها هذا النظام VSO يدفعهم إلى ذلك قواعد التركيب السطحية، التي على الرغم من شيوعها وكثرة استعمالها فإنها لا تصلح للتوصل إلى البنية التحتية. يؤيد هذا الرأي عندهم النتائج التي توصل إليها جرينبرج Greenberg في أبحاثه ودراساته، إن كل اللغات التي تستعمل حروف الجر ـ كالعربية والإسبانية ـ Lenguas pre-posicionales هي لغات تسير وفقاً للمنهج VSO.[٤]

وترى فئة أخرى أن اللغة العربية تتبع نظام SVO في ترتيب الكلمات في الجملة

(1) E. Keenan, Some Universals of Passive in Regional Meeting, Chicago Lingustic Society, pp. 340-352.

(2) N. Chomsky: Aspectos.., ob. cit.

(3) E. Bach: Syntactic Theory, New York: Holt, Reinechatr and Winston, 1974, p. 274 ss. Version espanola, Planeta, p. 283 y ss.

(4) J. Greenberg: Some Universals of Grammer with particular refrence the order of meaning ful elements, Universals of Language. Cambridge, 1965, pp. 73-113.

للوصول إلى البنيـة التحتـية[1]، فهذا عندهم هو الأصل فـي تركيب هذه الجملة العربية، على الرغم من أن الشائع والغالب في التراكيب هو غير ذلك. وربما كانت هذه النظرية نتيجة قياس اللغة العربية على غيرها من اللغات السامية كالأكادية التي هي VO في الأصل ثم تحولت إلى SVO بمرور الزمن، وبتأثير السـومرية عليها، وقياساً على الأمهرية التي كانت أيضاً VO ثم تحولت إلى SOV.[2]

ويرد جرينبـرج على هذا الادعاء، مؤيداً مـا جاء عن النحاة واللغـويين العرب القدماء، وما توصل إليه معظم اللغويين الذين درسوا العربية ونحوها، في أن هذه اللغة تتبع في ترتيب كلمات الجملة النظام VSO معتمداً على أن النظام السائد في العربـية هو VSO، أولاً، وثانياً لأن الـلغة العربيـة تستـعمل حـروف جر، وكل اللغات التي تستعـمل حروف جر تتبع النظام VSO في ترتيب كلمات الجملة[3]، وثالثـاً: لأن اللغة العـربية في نظـامهـا تتبع النظام اللغـوي (nombre + ad- NA getivo)، أي أن المنعوت يسبق النعت دائماً[4]، لذا فإن هذا النظام SVO يرد في اللغة العـربية على حـد سواء مع النظام VSO وربما أكثـر. أما النظـامان OVS، VOS فـإنهمـا يردان في اللغـة العربيـة في حالات قلـيلة، في حين أن النظامين OSV، SOV يردان في حالات نادرة.

وضع النحاة واللغـويون العرب القـدماء الجملة في اللغـة العربية في قـسمين: جملة اسـميـة، وهي التي تبدأ باسم أو ضمـير. وفـعلية وهي التي تبـدأ بفعل، ويكون ترتيب كلمات الجملة في هذين القـسمين في الأغلب الأعم وفقاً للنظامين

(1) C. Killean: The deep structure of the Moun Phrase in Modern Written Arabic, University of Michigan, 1966.

(2) J. Greenberg, Some Universals... ob. cit., p. 100 y ss.

(3) J. Greenberg, ob, cit., p. 78.

(4) Greenberg, p. 85.

VSO، SVO على حد سواء ـ كما ذكرنا ـ فأي النظامين إذن يحقق البنية التحتية وأيهما يمثل البنية السطحية؟ للإجابة، لابد من اتباع طريقة الإحصاء لجمع عدد كبير من الجمل، وهذه هي الخطوة الأولى في الدراسات اللغوية، ثم تليها الخطوة الثانية وهي الدراسة الدقيقة للمناسبة التي تستعمل فيها هذه التراكيب: لبيان الغرض المقصود من كل ترتيب، ثم وصف الكيفية التي انتظمت عليها المباني الصرفية في التركيب للوصول إلى الغرض.

وهنا تأتي المرحلة الثالثة من الدراسة، وهي المقابلة بين نظامي التركيب الواحد VSO، SVO اللذين يشيران إلى المعنى ذاته مع الإشارة إلى الاختلاف في درجة التوكيد أو الإفصاح... إلخ. وأخيراً تأتي مرحلة استنباط القواعد النحوية والقوانين اللغوية التي يتم في ضوئها ترتيب الكلمات في كل تركيب لتحقيق المعنى المراد، فالجمل التي تشير إلى تغير في ترتيب الكلمات لتغير في المعنى هي التراكيب التي تمثل البنية التحتية، فتفقد منها مجموعة من القواعد النحوية والقوانين اللغوية التي تسمى قواعد وقوانين النحو التوليدي[1]، regulaciones de granatica generativa ، ثم تتم ملاحظة ما يطرأ على هذه الجمل من تغيير في مواقع كلماتها وما يلحق بها من حذف وإضافة وإضمار، فتوصف كل حالة وصفاً دقيقاً، ثم تتم دراسة هذا الوصف لرصد مجموعة قواعد وقوانين النحو التحويلي[2] regulaciones de la gramática transformacional.

يرى تشومسكي أن الركن الرئيس الذي يجب أن تحققه النظرية اللغوية عند البحث في البنية التحتية هو تحديد الغرض المقصود من التركيب اللغوي وإظهاره من خلال العلاقات النحوية القائمة بين الأبواب النحوية التي تنتمي إليها كلمات

(1) N. Chomsky, ob. cit. p. 30.

(2) N. Chomsky: Current Issues in Linguistic Theory, The Hagje: Mouton, 1964, p. 63.

ذلك التركيب[1]. وعلى ذلك فإن الادعاء بأن اللغة العربية تنهج لبناء تراكيبها الأصل المنهج SVO يبتعد بدراستها عن المنهج الوصفي القائم على تتبع المعنى ووصف الكيفية التي تنتظم عليها المباني الصرفية للتعبير عن ذلك المعنى، وينحو بها نحو التحليل السطحي القائم على[2] .(S) NP+Pred. = <--------- ?

ولا مبرر لهذا التحليل إلا الوصف الظاهر لكثير من الجمل الشائعة في كل من العربية الفصحى والعربية المعاصرة:

علي حضر من السوق

محمد سافر

خالد درس درسه

فيكون تحليلها كما يلي: SVO = S (NP) + Pred (SV)

وهذا يقتضي البحث عن مجموعة من القواعد التحويلية التي يتم في ضوئها نقل الفعل الرئيس في الجملة، أو نقل الاسم المتقدم فيها، إلى موقع آخر للوصول إلى المعنى المراد، وبإعادة هذين الركنين الرئيسين إلى موقعهما الأصل في الجملة؛ فإن المعنى سيبدو أقل توكيداً على ذلك الركن منه في الجمل في تركيبها الحالي. وسيظهر أيضاً أن مجموعة القواعد التحويلية التي تلزم في هذا التحليل تشملها قواعد التحليل الأول VSO وتبقى بحاجة دائمة إليها، فنقول مثلاً:

محمد درس درسه SVO = S (SN) + V (SV) > V+S (pron) + O

في حين يكون تحليل الجملة ذاتها وفقاً للمنهج الأول، كما يلي:

VOS = SV > NV + O

(1) N. Chomsky: Deep Structure, pp. 54-55.

(2) Lowkowicz, p. 815.

ولو افترضنا منهجا ثالثاً لتحليل مثل هذه الجملة كما يلي[1]:

? ----------> SV + SN

لكان تحليل الجملة في ضوئه ---------> SV (VS) + SN (O) <

وهذا يعني أنها تسير وفقاً للمنهج الثالث المذكور سابقاً، نحاول توضيحه بالرسم التالي:

? ----------> = _____ _____ + V___ ____ ____ O

S

وهذا يقتضي أيضاً مجموعة من القواعد والقوانين التحويلية التي يتم وفقاً لها نقل S من موقعه ليفصل بين الركنين الرئيسين المتبقيين في الجملة O وV ولكن هذا المنهج وإن بدا فيه الاعتماد على المنهج الوصفي إلا أنه يبقى قاصراً عن الوصول إلى البنية التحتية للتركيب إلا باستخدام مجموعة معقدة من قواعد التحويل لا تزيد البحث إلا تعقيداً.

ذكرنا أن اللغويين والنحاة العرب القدماء قد قسموا الجملة في اللغة العربية إلى قسمين: فعلية واسمية، وهنا نعود لتطبيق مناهج التحليل السابقة عليهما، فالفعلية مثل:

أ ـ حضر زيد VS

١) ب ـ مات زيد VS

ج ـ أكرم زيد خالداً VSO

وأما الاسمية فمثل:

أ ـ محمدٌ مجتهدٌ S + Pred

(1) F. Anshen & P. Schreiber: A focus transformation of Modern Standard Arabic Language, 1968, pp. 44-97.

٢) ب ـ محمد في البيت S + Pred (f. prep.)

ونسوق صنفاً ثالثاً من الجمل لنقابله بأمثلة القسم الأول:

أ ـ زيد حضر [s (pron)] SV

٣) ب ـ زيد مات [S (pron)] SV

ج ـ علي أكرم خالداً [S + (pron)] + O SV

فإن هذه الجمل وفقاً لمنهج أهل البصرة تدرج في قسم الجملة الاسمية، وذلك لأنها تبدأ باسم. فالاسم في أولها مبتدأ أو الجملة بعدها خبره، ومرتبطة به وجوباً برابط يعود عليه، وهو الضمير المستتر ويعرب فاعلاً للفعل، الفعل الذي هو في حقيقة الأمر موضع الحدث الذي أحدثه الاسم المتقدم، كما في الجمل: ١/أ، ج؛ ٣/أ، ج، وإنما كان التقديم لأمر يتعلق بتوكيد جزء من أجزاء الجملة[١].

يقول ابن يعيش: (. . . وذلك في نحو:

ـ قام زيد

ـ سيقوم زيد

ـ هل يقوم زيد؟

فزيد في جميع هذه الصور فاعل من حيث إن الفعل مسند إليه ومقدم عليه سواء فعل أو لم يفعل، ويؤيد إعراضهم عن المعنى عندنا وضوحاً أننا لو قدّمنا الفاعل فقلنا:

ـ زيد قام

لم يبق عندنا فاعلاً وإنما يكون مبتدأ أو خبراً معرضاً للعوامل اللفظية[٢].

(1) Ver, N. Smith y D. Wilson, Holdern Linguistics, The result of Chomsky's revolution, Indiana University Press, 1977, p. 101 y ss.

(٢) ابن يعيش، المصدر السابق، ص ٢٤.

ومتابعة لهذا فالنظام اللغوي الذي جاءت عليه الجمل ٣/أ، ب، ج، هو SVO، وبذا فإن الجملة مكونة من جملتين: اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، وفعلية مكونة من فعل وفاعل مقدر ومفعول به. وهذا التحليل SVO هو وصف التركيب السطحي للجملة ليس غير، في حين أن قسماً من النحاة القدماء قد أدركوا البنية التحتية وعبّروا عن ذلك بوضوح، يقول الجرجاني: "لا يتصور أن تعرف للفظ موضعاً غير أن تعرف معناه ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً، وإنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك"[١]، فترتيب الكلمات في نظام جملي معين يكون لتحقيق معنى يريده المتكلم، فيقدم أو يؤخر مباني التركيب ليصل إلى ذلك المعنى. يقول رايت[٢]: "إن الفرق بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية في اللغة العربية، هو أن الأولى تصف حدثاً، أما الثانية فتصف شخصاً أو شيئاً، ويكون ترتيب الكلمات فيهما بطريقة تحقق ذلك، إلا إذا كانت هناك رغبة في تأكيد قسم من أقسام الجملة، فإن هذا يكفي لأن يكون سبباً للتغيير في مواقع الكلم" وبذا تبقى الجملة جملة واحدة، وليست جملتين صغرى وكبرى.

إن من يدرس الجمل ١/أ، ج يتبين أنها جاءت على المنهج الأصل، محققة المعنى الذي يرمي إليه المتكلم من التضام بين الكلمات/ حضر، زيد/ ، /أكرم، علي، خالداً/ ، فانطبقت بذلك قواعد التوليد R.G على قواعد التحويل .R.T أو قواعد التوليد هي التي استعملت لبناء كل من الجملتين، بينما بقيت قواعد التحويل بالاستعمال فيهما، وذلك للتطابق بين البنيتين السطحية .E.S والعميقة .E.P

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٨م، ص ٩٣.

(2)W. Wright: A grammer of Arabic Language, 3 erd. Cambridge University Press. Vol. II, p. 25.

فجاء كل من التركيبين على النظام الأصل VSO أما الجمل ٣/أ، ب، ج، فالتباين بين البنيتين العميقة والسطحية ظاهر جلي، فقد قصد المتكلم بكل منها الإخبار عن زيد وعلي بخبر يقتضي أن يُمهّد لإلقائه بالعبارة: أما بالنسبة لـ... فقد... وللافتراق بين البنيتين العميقة والسطحية، فقد برزت قواعد التحويل التي تم بمقتضاها نقل الاسم إلى مقدمة الجملة لتحقيق غرض لا يتحقق في التركيب الأصل، وهو توكيد نسبة الخبر إلى المخبر عنه[١]، فتحولت الجملة من VSO إلى SOV وإن قصد المتكلم التغيير في المعنى له أن يستعمل أحد النظامين SVO أو OVS مع الاحتفاظ بذكر الاسم المتقدم في موقعه الأصل خلف الفعل ظاهراً كما في OVS أو ممثلاً بعائد عليه كما في SOV وهذا ما يعبر عنه أهل البصرة، لابد لكل فعل من فاعل يلي الفعل مذكوراً أو مقدراً، فإن تقدم على فعله لم يعد فاعلاً وإنما يكون مبتدأ، وفاعل الفعل ضمير مستتر تقديره (ضمير) يعود على الاسم المتقدم[٢] فيكون تحليل الجملة كما يلي:

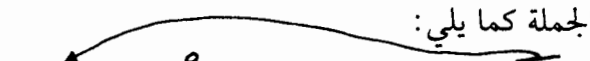

SVO = S (SN) + V (SV > + V + SN (Pron) + O (SN)

= [S + [Pred > [V + Pron + O]]]

أما أهل الكوفة فإن رأيهم يتفق مع المنهج اللغوي المعاصر الذي يقوم على وصف ظاهر التركيب للوصول إلى معنى بعينه. فيكون تحليل الجملة وفقاً لهذا كما يلي:

VSO ----------> SVO [S + V + O]

[Agente + V + O]

(1)E. Bach, Order in Basse Structure, Word Order and Ward Order Change, ed. by Charles N. Li, 307-43, Austin: University of Texas Press, 1975.

(٢) ابن يعيش، المصدر السابق، ص ٧٤.

فالاسم المتقـدم هو فاعل الفعل الذي يليه ولكنه لغـرض في المعنى وهو توكيد الاسم الذي قام بالفعل، والعرب إذا أرادت العناية بشكل قدمته[1].

ولنضرب مثلاً آخر يبين أهمـية تقديم المعنى لغرض في المعنى، نأخذه هذه المرة من باب الاستفهـام محذوف الأداة وقد خرج عن معنى الاستفـهام إلى معنى آخر هو الدهشة أو الاستغراب، فنقول مثلاً:

طائر يتكلم ؟!SV <------ VS

عدوك يحترمك ؟! SVO <------ VSO

فالتركيبان في اللغة العربية في أصلهما: (أ) يتكلم (أل) طائر؟!، (أ) يحترمك عدوك؟! ولـكن موضع الدهشـة والعجب لا يبـرز واضحـاً في الوضع الأخـير، فيـتحـول انتظام الكلمـات في التركـيب إلى الوضع VS وSVO في إطار النحو التحويلي للـغة العربية بتقـديم الفاعل على الفعل، وحذف الهـمزة التي نرى أنها ضعيفـة الصلة بالاستفهام، وربما كانت هي الرمـز المكتوب للأصل الصوتي الذي تنطق به الجملة كاملة (التنغيم)، والذي به يتم التمييز بين معنى الجملة، كما يلي:

طائر يتكلم <---------- جملة خبرية بنغمة صوتية مستوية.

طائر يتكلم ----------/ جملة دهشة واستغراب وتعـجب، بنغمة صوتية صاعدة.

وهناك طريقة أخـرى يكون عليها التـركيب اللغوي ليـعطي مزيداً من التوكـيد للفاعل المقدّم، وذلك بإظهاره في موقعه الأصل بشيء يعود عليه، نقول:

عليٌ أكرم / هو / خالداً

VSO = SVO (Pron) O

e

(١) أبو حيان، البحر المحيط، بيروت، دار الفكر، ص ٤٢.

يدرك المتحدث أن الأصل الذي يكون عليه التركيب هو: أكرم عليٌ خالداً، فاحتاج إلى مزيد من توكيد الفاعل، فقال: أكرم عليٌ عليٌ خالداً، [مثل هذا التركيب شائع في اللغة العربية المعاصرة] ولكن اللغة لا تقبل اللبس وتسعى لنقل المعنى بين المتكلم والسامع بجلاء، وفي هذا التركيب قد يتبادر إلى الذهن أن المتكلم إنما أراد (علي بن علي)، فلا يصل المعنى إلى السامع كما أراده المتكلم، فيتم تحويل الفاعل إلى موقع متقدم جرياً على منهج اللغة العربية في توكيد ما يعتني به. فيصبح التركيب SVO لغرض التوكيد، فإن أراد مزيداً من توكيد الفاعل ذكره بما يعود عليه فيكون:

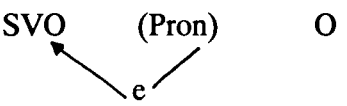

علي أكرم خالداً

وعندما نعرب الضمير (هو) في مثل هذا التركيب نقول: فاعل للفعل أكرم يعود على الاسم المتقدم (المبتدأ). والجملة الفعلية، أكرم هو خالداً: في محل رفع خبر المبتدأ. وهذا هو منهج أهل البصرة، ولا نكاد نظفر بشيء يشير إلى رأي أهل الكوفة في إعراب الضمير العائد، لأنهم يعربون الاسم المتقدم إعراباً وصفياً: فاعل مقدّم[1]. فالتركيب عندهم كما يلي:

VSO ----------> SVO

وهنا نقترح أن يُعدّ الضمير "هو" في مثل هذا التركيب لمزيد من التوكيد، فيكون إعراب الجملة كما يلي:

علي: فاعل مقدم لغرض التوكيد مرفوع.

أكرم: فعل ماضٍ مبني على الفتح.

(١) انظر: ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة ٨٥.

هو: توكيد للغرض من تقديم الفاعل المقدم.

خالداً: مفعول به.

وما يقال في هذه الجملة يقال في:

ضرب هو الولد

فيكون (هو) توكيداً لغرض تقديم الفاعل المتقدم ذكره في السياق، إذ لو لم يكن (هو) عائداً على اسم معروف للمتكلم والسامع، الذي هو الفاعل حقاً، لكانت الجملة غامضة، فيكون التركيب الأصل SVO لغرض التوكيد، ثم حول إلى الصيغة الأخيرة

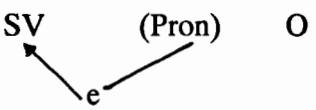

التي هي في الأصل

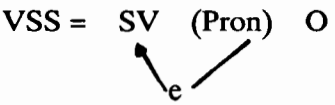

ومن الملاحظ أنه إذا تقدم الفاعل لغرض التوكيد فلابد أن يؤكد مرة أخرى بضمير يجوز إظهاره بعد الفعل المسند إلى فاعل مفرد (مذكراً أو مؤنثاً):

هند قرأت الكتاب

هند قرأت هي الكتاب؟

ويكون التوكيد عند ذكر أي ضمير بعد الفعل مثل:

اسكت

وهي جملة فعلية نظامها:

VS = V (Pron)

فإذا أراد المتحدث توكيد المسند إليه قال:

اسكت أنت

VSS = V Pron + (Pron)

ولا يجوز في مثل هذه الجملة تقديم الفاعل للتوكيد لاحتمال اللبس مع التعبير عن رغبة المتكلم في شد انتباه السامع إلى غرض يريده وذلك في النداء.

أنت اسكت

لاختلط الأمر بين:

يا أنت اسكت

التي هي للنداء وبين:

أنت اسكت

التي هي للتوكيد،

في حين يريد المتكلم التوكيد ليس غير، لذا وجب أن تكون أنت في الجملة:

اسكت أنت

توكيداً للضمير المستتر الذي لايجوز تقديمه ويجب استتاره.

بخلاف ما يراه ابن مضاء القرطبي[1] فإذا جاز أن يعد الضمير الظاهر في:

اسكت أنت

توكيداً للضمير المضمر في: اسكت

لا يكون ذلك مخالفاً للقاعدة النحوية: "لا يجتمع فاعلان لفعل واحد"، فإن طبيعة اللغة تقتضي أن يعد المسند إليه في الجملة التي يتقدم فيها الفاعل ويُذكر بعد

(١) الرد على النحاة، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٧٩م، ص ٧٩.

الفعل ضمير يعـود عليه، فاعلاً مقدماً، والضميـر مؤكد للغرض من تقديمه. هذا في جانب وفي جانب آخـر، أن يعد المسند إليه في الجملة التي يتوالى فـيها لفظان بعد فعل يصلح كل منهما أن يكون فاعلاً للفعل:

حضرا الوالدان

يلاحظ في هذه الجـملة أن "الألف" هي ضـمـيـر ولها مـحل من الإعـراب، وإعرابها دائماً إما فاعل أو نائب عنه. وتكون هذه الجملة في شكل التراكيب التالية:

١- حضر الوالدان

VS

٢- حضرا الوالدان

VSS = V Pron S

e

= V + Pron + agente

e

٣- حضر الوالدان هما

VSS = VS (Pron)

e

= V + agente + Pron

e

٤- الوالدان حضرا

SVS = SV e Prom

= Agente + V + Pron

e

ولا اعـتراض على هذا إلا الخـروج على القاعـدة النحـوية التي تنص على أنه "لايجوز أن يؤكد الظـاهر بمضمر"[1]، ويؤيد ذلك بالإضافة إلى المعنى، الأصل اللفظي الذي جاء الضمير ليسد مسده، كما يلي:

حضر الوالدان الوالدان

الوالدان حضر الوالدان

حيث تعـرب كلمة الوالدان فـي الأول توكيداً لفظيّـاً للفاعل، وفي الـثاني هي بمثابة التوكيد وإن كانت في حقيقة أمرها توكيداً للفاعل المقدّم.

نأخذ نموذجاً آخـر من نماذج تركيب الجملة الفعلية، ولـيكن هذه المرة مما يتقدم فيه المفعول به، مرة بلا عائد، وأخرى بالضمير العائد في باب الاشتغال:

خالداً أكرم علي

VSO -------> OVS

فهي في الأصل VSO ثم حولت إلى OVS لتـوكيـد المفعـول به عن طريق التقديم، والعرب إن شاءت الاعتناء بشيء قدمتـه، فكلمة (خالداً) مفعول به مقدم في رأي النحاة أجمعين، وذلك لعدم وجود لبس بين حركة الاسم المتقدم (خالداً) وحـركة الاسم الذي يقع في أول الجـملة (المبتـدأ)[2] كمـا هو الحال عند تـقديم الفاعل.

أما في الجملة:

خالداً أكرمته

فعلى الرغم من أنه لا لبس بين حركة كلمة (خـالداً) وحركة المبتدأ إلا أن نحاة

(١) ابن يعيش، المصدر السابق، ص ٤١-٤٢.

(٢) السيوطي، همع الهوامع، بيروت، دار المعرفة، ص ١١١، ١١٢.

البصرة يقدرون فعلاً يعمل فيها النصب يفسره الفعل المذكور بعده، لتكون (خالداً) مفعولاً به للفعل المقدر[1]، لأن الفعل المذكور في الجملة قد حصل على مفعوله وهو الضمير، وليس هو من الأفعال التي تأخذ مفعولين، فتكون الجملة عند أهل البصرة مكونة من جملتين:

VSO /// + VSO ///

في حين يرى أهل الكوفة أن الفعل إنما يتصرف إذا كان متصرفاً في نفسه، فالاسم المتقدم على الفعل منصوب بالفعل الواقع على الهاء (الضمير)[2] فيكون تحليل الجملة عندهم:

VSO--------> OVS (Pron) + pron

ونحن نرى أن المتكلم إنما أراد توكيد جزء من المعنى ممثلاً بجزء من الجملة وليس بالجملة كلها، بالمفعول به فقدمه (. . . والتقديم عندنا إنما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول)، ثم أراد أن يزيد توكيده فذكره ثانية في موضعه الأصل، فأصبحت الجملة:

خالداً أكرمت خالداً

OVS + O

فحذف الاسم (خالداً) من موضعه الثاني ووضع بدلاً منه الضمير، فأخذت الجملة وضعها الأخير:

خالداً أكرمته

فالجملة في قواعد التوليد VSO ثم حولت وفقاً لقواعد التحويل OVS لتحقيق

(١) انظر رأي ابن مضاء في الرد على النحاة، ص ٩٨.

(٢) ابن الأنباري، مسألة ١٢، وسيبويه الكتاب ص ٦٧.

غرض يتعلق بالمعنى:

VSO -----> OVSO ----> OVSO (Pron)

e

وبذا يكون إعراب الجملة كما يلي:

خالداً: مفعول به مقدم لغرض التوكيد

أكرمت: فعل وفاعل.

الهاء: ضمير متصل ذكر توكيداً للغرض من تقديم المفعول به.

وبناءً على ما سبق، نرى أن الجملة التي تشتمل على فعل في اللغة العربية هي جملة فعلية VS أو VSO وفقاً لقواعد النحو التوليـدي، سواء تقدم فيها الفعل أم تقدم عليـه الفاعل أو المفعـول به، يتم تحويلها للتـوكيد على جزء من أجـزائها أو للمقابلة بين الفاعلين في جملة ذات شقين في إطار القواعد التحويلية إلى:

SVO أو OVS أو SOV أو SV (pron)

e

أو بإدخال أدوات تقتضيها قوانين التحويل.

أما النظام اللغوي للجملة الاسمية، فلتوضيحه ننظر في الجمل التالية:

١- محمد مجتهد S + Pred

٢- كان محمد مجتهداً S + Pred -----> VSO

٣- محمد كان مجتهداً S + Pred ---> SVO

٤- محمد كان هو مجتهداً S + Pred ---> SVO (Pron) + O

e

فقد جاء التركـيب الجملي الأول وفقاً لقواعد النحو التوليـدي مكوناً من مبتدأ

وخبر، كل في موقعه الأصل، وبذا يكون التـركيبان: السطحيان ES والعميق EP قد تطابقا في الإشارة إلى المعنى:

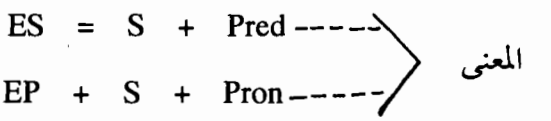

أما في الجـملة الثانية فـقد دخل عنصر آخـر من عناصر النحو التـحويلي G.T وهي (كان) ليـفيد الإشارة إلـى الزمن الماضي، وبقيت المباني الأخـرى في الجملة على ترتيبها الأصل، فـاشتركت قواعد النحو التحويلي مع قواعـد النحو التوليدي للوصـول إلى المعنى العـميق، وهو الإشـارة إلى إلحاق المسنـد إليه مـقتـرناً بزمن ماضي.

G. G + G. T. = S + Pred

$\not{O}$ + G.T. = V (S+Pred)

وفي الجملة الثالثة دخل الجملة عنصران من عناصـر التحويل هما: تقديم كلمة (محمد) وإدخال كلمة (كان) لتحقيق المعنى العميق الذي هو في هذه المرة ذاته في الجملة الثانية مضـافاً إليه عنصر التوكيد المستمد من تقديم كـلمة (محمد)، فيكون إعرابها كما يلي:

محمد : اسم كان مقدم لغرض التوكيد

كان : عنصر الإشارة إلى الزمن الماضي (فعل ماضٍ ناقص)

مجتهداً: خبر كان. . .

G. G + G. T. = S + Pred

$\not{O}$ + G.T. = S (V+Pred)

وأما في الجملة الرابعة فقد دخل التركيب ثلاثة عناصر من قواعد التحويل هي:

(أ) تقديم كلمة (محمد) لتحقيق التوكيد الناتج عن العناية بالمقدم.

(ب) إدخال (كان) لتفيد الإشارة إلى زمن الإسناد.

(ج) ذكر الضمير (هو) بعد كان الذي يعود على الاسم المتقدم لمزيد من التوكيد.

ـ كان محمد محمد مجتهداً

ـ كان محمد هو مجتهداً.

ـ محمد كان هو مجتهداً.

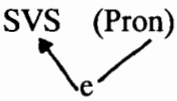

فيكون إعرابها كما يلي:

محمد : اسم كان مقدم لغرض التوكيد. . .

كان : عنصر الإشارة إلى الزمن الماضي (فعل ماضٍ ناقص)

هو : توكيد للغرض الذي من أجله قدم اسم كان

مجتهداً: خبر كان.

وهناك تركيب آخر للجملة الاسمية، وهو كثير الاستعمال في اللغة العربية يكون فيه:

المبتدأ (أ) معرفة (ب) نكرة (ج) الخبر شبه جملة

(١):

أ ـ محمد في المدرسة

SN + Perif. prep. = s + Prep.

ب ـ الرجل أمام المنزل

SN + F = S + Prep.

في الجملتين يتطابق التـركيبان السطحي والعمـيق في الإشارة إلى المعنى المراد، فكان ترتيب الكلم في الجملتين محققاً لهـذا المعنى، الإخبار عن (محمد، الرجل) لأنهمـا موضع العناية، مقدمـاً "فإن جوهر الكلام هو ذلك الكلام النفـسي، وأما الكلام اللفظي فهو ظـل لهذا الكلام النفسي"[(١)]، مضبوطاً بقـواعد وقوانين اللغة وهي غاية ما يصبو إليه علم اللغة الوصفي ليقدم جملة تعبر عن هذا المعنى[(٢)].

:(٢)

في البيت رجل

في هذه الجملة التي قصد منها التعبير عن العناية بالمكان فقدم تبعاً لذلك وأخذ وضعاً ثابتاً:

Pred + S

يعبر النحاة بوجوب تقديم الخبر، فهي في الأصل Pred + S حوّلت لغرض توكيد المتقدم كما يلي[(٣)]:

S + Pred -----> Pred + S

إن الترتيب الثابت للكلمـات في اللغتين العربية والإسبـانية، يضطلع بعديد من الوظائف التي كانت موكولة إلى الإعراب الاسمي، والتي من بينها إمكانية التعرف على الفاعل والمفعول كما هما. وتستخـدم كل من اللغتين العربية والإسبانية إجراءً خاصّـاً لإظهار المـفعول عـن الفاعل: إذ يمكن أن يكون سـابقاً ثم بعـد ذلك يتم

(١) عبدالقـاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٩٣، وانظر: درويش الجندي: نظرية النظم عند عـبدالقاهر، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٠م، ص ٤٧.

(2) Firth, j.R, Papers in linguistics, Oxford University Press, 1969, p. 190.

(3)W. Wright: A Grammer of Arabic Language, 3rd ed., Cambridge University Press, 1898, p. 253 y ss.

إظهاره مرة أخرى في صورة ضمير:

Ya conocemos ese viento.

ها نحن نعرف هذه الرياح.

A la muger de don Antonio no la ha visto nadie desde hace anos.

"امرأة السيد أنطونيو لم يرها أحد منذ سنوات".

وبالطبع فإننا يمكننا التعرف في هذه الحالات منذ البداية، في اللغة الإسبانية، فقط على المفعول به المباشر من خلال وجود حرف الجر "A" الذي يصاحب المفعول به المباشر العاقل.

A la mujer de don Antonio...

أما في اللغة العربية فإنه يمكن إدراك المفعول به من خلال الضمير المتصل في الفعل (يرها veria) الذي يرتبط بامرأة السيد أنطونيو.. وليس من الشائع أن يكون هذا المفعول سابقاً ثم العودة مرة أخرى لإظهاره في صورة ضمير.

وإلى جانب هذا التسلسل في الإسبانية:

O o V S

A la mujer de don Antonio no la ha viston nadie

O o V S

يوجد أيضاً التسلسل في اللغة العربية:

امرأة السيد أنطونيو لم يرِ ها أحد منذ سنوات

(مفعول به) (فعل) (مفعول به) (فاعل)

(ضمير)

ونرى أن اللغة الإسبانية هي التي تستخدم بصورة أكثر يسراً وسهولة في أسبقية

المفعول دون أن يتم الإشارة بواسطة ضمير بعد ذلك.

Eso pienso yo

O V S

Hielo no tengo

وفي المثالين التاليين نوضح مدى القابلية الأسلوبية للتقديم والتأخير، أي القلب المكاني للوحدات اللغوية، في الجملة الإسبانية:

Prisa no tengo

No tengo prisa

والمقارنة هنا توضح أنه ليس من الشائع في الإسبانية كما يحدث في العربية أن يأتي المفعول به مع ضمير. ولكن حرية الشكل في الجملة تكون كبيرة جداً حيث تقوم على توزيع دقيق للغاية لمكونات الجملة من حيث التوازن بين هذه المكونات. وغالباً ما نجد أن المترجم الإسباني لا يشعر بالميل إلى اتباع نموذج القلب المكاني اللغوي في اللغة العربية، ولكن يمكن أن يحدث عكس ذلك:

El francés lo hablaba tan bien como el espanol.

"الفرنسية كان يتحدثها بنفس درجة الجودة مثل الإسبانية".

ومن هنا يمكن لأسبقية المفعول به أن تلبي الإجابة على ضروريات متعددة. وبهذه الطريقة يمكن الربط مع شيء سبق أن ذكر مباشرة:

"Empieza por el comienzo" - "El comienzo lo conoces tan bien como yo"

("ابدأ من البداية" - "البداية تعرفها جيداً مثلي").

وحتى يمكن تقويم ثبات وحرية ترتيب الكلمات والإمكانات المتنوعة بتشكيل الجملة في اللغتين العربية والإسبانية، يجب مقارنة كل الأشكال الأساسية للمقولة.

ونتساءل، مـاذا يحدث مع المقولة التي تتكون من الفـاعل وفعل الربط والمكمل سواء كـان اسمـاً أو صفـةً؟ وأين يكون هذا الترتيب والتـسلسل SVP، وإمكانية التبديل المكاني PVS أو VPS وماذا يعني هذا التبديل

Feliz es el hombre que pueda vivir de su afición.

(سعيد هو الرجل الذي يستطيع أن يعيش من هوايته)

والصفة التي تسبق في الجملة يمكن أن تمنح هذه الجملة درجة مملوءة بالإحساس والمهابة:

Bella era la vida, bella y efimera la dicha.

(جميلة كانت الحياة، جميلة وزائلة السعادة).

وتُعرف في اللغـة الإسبانية البنيـة اللغوية المتمـثلة في التسلسل VPS، أسبقـية الفعل والمكمل (الخبر) على الفاعل. وهذه الأسـبقية يمكن أن تؤدي إلى درجة من اللغة الشاعرية:

Estaba horadado el cielo de estrellas brillantes

(كانت مثقوبة السماء بالنجوم المتلألئة).

كما أنه في الإسبـانية يتم التبديل بين SVP أو VPS بشكل عادي نظراً للحركة الطبيعية للغة الدارجة:

"El agua está muy fría". "José! José!, no os sentéis en la orilla, que está muy fría el agua"

(" الماء بارد جداً" . خـوسيـه، يا خوسيـه!، ألا تجلسون على الضـفاف، أن يكون بارداً جداً الماء")

Es tonta tu mujer.

(تكون بلهاء زوجتك)

Es extraordinaria esta mujer.

(تكون غريبة هذه المرأة)

ويمكن أيضاً إبعاد فعل الربط في الإسبانية والعربية:

Muy simpático el director.

(جداً ظريف المدير)

وبالطريقة المماثلة نفسها للصفة يمكن وضع الخبر الاسمي:

Es un encanto vuestro Mediterráneo.

(يكون سحراً بحركم المتوسط)

ويمكننا أن نطرح مسألة أخرى: "أي حرية في الحركة يتمتع بها المكون الفعلي؟"

ونقول: من الممكن بالنسبة للغة العربية وللغة الإسبانية أن يسبق المكون الفعلي في أي حالة، وهكذا يمكن وضع ثقل الجملة في الفاعل:

Excelencias! ha lleguado del senorito Juan!

(أصحاب السعادة، قد وصل السيد العزيز خوان!)

ومن المهم هنا ما يفعله أحد (قد وصل - ha llegado)، ولكن الأكثر أهمية هو من يقوم بذلك (السيد العزيز خوان el señorito Juan): والجملة يتم تتويجها في الفاعل. وهذه الحالة تتحقق في المثال التالي: PS

llegaron los demás

(وصل الآخرون)

وتمثل حركة الخبر الفعلي أمام الفعل أهمية حاسمة لتشكيل الجملة في اللغة الإسبانية:

Y después verás cómo todo irá bien, acabará la guerra, volverá la abundancia.

(وبعد ذلك سترى كيف كل شيء سيكون بخير، ستنتهي الحرب، سيعود الرخاء)

وبالنسبة للغة الكاتب الروائي توجد حرية أسلوبية كبيرة للتقديم والتأخير والتبديل المكاني للوحدات اللغوية ويمكن للروائي أن يختار SP..., PS..., SP التسلسل الذي يراه:

La sombra de la noche desciende sobre nosotros del mundo Pollino. Ya hn vuelto todos los campesinos a la aldea; los hogares de las casas se han encendido.

(ظلال الليل تنسدل علينا من عالم "بوبينو". ها قد عاد كل الفلاحين إلى القرية؛ قاعات البيوت قد أضاءت)

ومن ثم فإن التسلسل PS يشير إلى أن الجملة متجهة تماماً إلى الفاعل وأن المعلومة النهائية تكون محتواة في الفاعل:

Después de más de dos horas de marcha subió hacia nosotros en el silencio el largo aullido de un perro.

(بعد أكثر من ساعتين من المسيرة، صعد إلينا في الصمت العواء الطويل لكلب)

ولكن لا يجب أن يكون هذا دائماً هكذا؛ إذ يمكن أن يكمل الفاعل فقط التوكيد، الذي يحتويه الفعل سلفاً:

Ladró un perro, luego otro.

(نبح كلب، بعد ذلك آخر)

ومن ثم نجد أن الفعل "نبح" (ladró) يقول لنا، مع كل الاحتمالات، أن هناك "كلباً" هو الفاعل. والتوازن للمقولة يمكن أن يتجه نحو الخبر الفعلي المسبق، أي

على سبيل المثال نحو الظرف الذي يصف الفعل:

Canta bien ese muchacho.

(يغني جيداً ذاك الصبي)

Conducía bien la Lansing, a una velocidad regular

(كانت تقود جيداً السيدة "لانسينج"، بسرعة عادية)

وعندما يوضع الفعل بجوار المفعول وقبل الفاعل، تحدد المقولة المفعول وليس الفاعل الذي يليه: VOS

Tiene una imaginación siniestra tu hijo

ومن ثم يكون التبديل المكاني في اللغة الإسبانية تكون نتيجته هنا VOS، أما في اللغة العربية يكون VSO:

(لدى ابنكم خيال مشؤوم)

(Tiene tu hijo una imaginación siniestra)

وبطريقة أو بأخرى، يكمن عنصر وثقل التوكيد في المفعول وليس في الفاعل في الجملة والذي يكون في نهايتها.

-"Leles", gritó Elena, "deja de patear la arena, que nos vas a dejar ciegos". -La niña... me miró desconcertada... "Tiene razón la tía Elena".

("ليليس"، صاحت آلينا، "اتركي ضرب الرمال، إذ أنك ستتركينا عميان" .ـ الطفلة نظرت إليّ حائرة .ـ

"معها حق العمة آلينا".

إن الكتابة حول شكل الجملة بدلاً من الكلام تكون دائماً شيئاً وسطاً. وفي الواقع يوجد هنا مستويين لغويين مختلفين يكملان بعضهما بعضاً، هما الرنة

(النغمة) وترتيب الكلمات. فاللغة يتم إظهارها من خلال الجملة المنطوقة، أما اللغة المكتوبة فهي صورة شاحبة لها فقط، أو بمعنى آخر هي نسخ أبيض وأسود للوحة مضيئة بها كل ألوان قوس قزح. وفي حقيقة لغة الكلام يمكن، فقط، التدقيق جيداً حول كيفية تكامل المستويين اللغويين وكذلك ترتيب الكلمات والنبرة أو رنة ونغمة الجملة.

وقد تمت المحاولة هنا لتوضيح ماهية الفاعل (المسند إليه/ المبتدأ) والفعل (المسند/ الخبر). وقد تم الوصول، في بعض الأحيان، إلى الفكرة القائلة إن الخبر هو الذي "يعبر" عن الشيء الذي يفترضه الفاعل بطريقة ما كنقطة بداية لهذه المقولة. وفي الحقيقة يكون الفاعل دائماً جزءاً من المقولة وإنه بهذه الطريقة يتم توزيع ثقل هذه المقولة.

"ونظراً للتبعية المتبادلة بين الفكرة والكلمة، يبدو جلياً أن اللغات ليست وسائل لتقديم حقيقة معروفة سلفاً، وإنما الكشف عن المجهول سلفاً. إن تنوع اللغات ليس تنوع الأصوات والعلامات وإنما تنوع الرؤية للعالم. ومن هنا يكمن السبب والغاية الأخيرة لكل دراسة لغوية". وقد أطلق ويليام فون هيومبلت هذه الجمل (حول الدراسة اللغوية المقارنة في مختلف عصور تطور اللغة ١٨٢٠)، وإنه منذ ذلك الحين لم يدخر أحد وسعاً وكانت المحاولة تلو الأخرى لتفسير مفهوم ودلالة تنوع صيغ وأشكال وبنى اللغة مثلها مثل "التباين في رؤى العالم".

ومن المؤكد أنه في صيغ وأشكال وتراكيب كل لغة تظهر التجارب الإنسانية ومفاهيم العالم والرؤى الكونية الخاصة. ولكن لا يمكن التفكير، تحت أي مسمى، في كل الأشكال والتراكيب المختلفة من لغة إلى أخرى كصور صادقة لتجارب العالم المختلفة.

"إن كل لغة لها نظام تسلسل وترتيب بالغ الدقة حيث تترابط جميع

مكوناتها" : وهذه الجملة أطلقها عالم اللغة الفرنسي أنطوان مييه[1]، وأنه تم تكرار هذه الجملة مراراً في العقود الأخيرة كمبرر على أن عديدة هي المحاولات الجادة لقصر اللغة على نظم رياضية تقوم على أسس التعارضات الشكلية.

إن اللغة هي نظام الاتصال للإنسان، ولكن على مدار الفترات والأحداث التاريخية التي مرت، تعدّ لغات الإنسان شيئًا آخر، مثلها مثل كل نظم الإعلام المتعاقبة والمتماسكة التي يؤسسها الإنسان. إنها نظم عرضية وغير منهجية في جانب كبير منها. ولا يوجد في اللغات شيئاً "كاملاً". وأن الشيء الجدير بالإعجاب ليس في النتائج وإنما في مدى القابلية للنظام غير المنهجي.

* * *

(١) في كتابه: علم اللغة التاريخي وعلم اللغة العام، الجزء الثاني، باريس ١٩٣٦، ص ١٥٨.

ملحق الرموز والاختصارات

⁀ علامة رمز عملية التسلسل.

+ علامة الإضافة تعني التحديد الإيجابي لعلامة من العلامات وتستخدم أيضاً في عملية التسلسل.

- علامة الحذف تعني التحديد السلبي لعلامة من العلامات.

= علامة تبين علاقة التماثل والتطابق.

≡ علامة تبين علاقة التعادل والتكافؤ.

. . علامة تبين الاستمرار أو التواصل. في بعض الحالات الأخرى تشير إلى حذف ما هو غير ضروري.

_ _/ علامة تبين مكان محدد لسلسلة من المفردات.

-----> علامة تعني إعادة الكتابة وهي رمز للربط المشروط: "إذا. . . إذن".

( ) علامة الأقواس تعني حصر عناصر لغوية يمكن أن تظهر أو لا تظهر.

[ ] علامة الأقواس المعقوفة وتعني حصر دلالات وملامح.

< > علاماتان للإشارة إلى "أصغر من" و"أكبر من" على التوالي. ويستخدم البعض هذه الرموز لحصر علامات وملامح مميزة مثل + ضمير، كما يستخدم أيضاً للإشارة إلى النظائر المنهجية.

Adj. الصفة (Adjetivo)

Art. الأداة (Artículo)

Aux المساعد (Auxiliar)

Det. عنصر تحديد (Determinante)

E - e مقولة (Enunciado)

EP البنية العميقة (Estructura profunda)

ES	البنية السطحية (Estructura superficial)
FN	الجملة الاسمية (SN/ Sintagma nominal) (Frase nominal)
FV	الجملة الفعلية (SN/ Sintagma nominal) (Frase nominal)
F. Prep	الجملة المصحوبة بحروف الجر (Frase preposicional)
GG	علم النحو التوليدي (Gramatica generativa)
GT	علم النحو التحويلي (Granatica transformacional)
O	الجملة ـ المفعول به (Oracion - Objeto)
(pred)	P الخبر (Predicado)
Peri. FPrep	شبه الجملة المصحوبة بحروف الجر (Frase preposicional)
Prep	حرف الجر (Preposicion)
S	الفاعل (Sujeto)
SN	المكون الاسمي (Sintagma nominal)
SV	المكون الفعلي (Sintagma Verbal)
SVO	الفاعل + الفعل + المفعول به (Sujeto + Verbo + Objeto)
OVS	المفعول به + الفعل + الفاعل (Objeto + Verbo + Sujeto)
VSO	الفعل + الفاعل + المفعول به (Verbo + Sujeto + Objeto)
SOV	الفاعل + المفعول به + الفعل (Sujeto + Objeto + Verbo)
OSV	المفعول به + الفاعل + الفعل (Objeto + Sujeto + Verbo)
VO	الفعل + المفعول به (Verbo + Objeto)
VS	الفعل + الفاعل (Verbo + sujeto)
SVP	الفاعل + الفعل + الخبر (Sujeto + Verbo + Predicado)
Vpron	فعل ذو ضميرين (Verbo pronominal)

المصادر والمراجع

* الأمثلة المدرجة في هذه الدراسة هي ذات الاستخدام الشائع في اللغتين العربية والإسبانية، بالإضافة إلى أمثلة أخرى نقلناها من بعض الأعمال الروائية الإسبانية مثل: كاميلو خوسيه ثيلا "عائلة باسكوال دوارتي"، برشلونة، ١٩٥٥؛ خوان رامون خيمنيث "بلاتيرو وأنا"، مدريد، ١٩٦٠؛ خوان جارثيا أورتيلانو "عاصفة صيف"، برشلونة، ١٩٦٢م.

المصادر العربية:

- أسرار اللغة العربية/ لابن الأنباري .ـ دمشق: دار الترقي، ١٩٧٥.
- الأشباه والنظائر/ جلال الدين السيوطي .ـ القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٥م.
- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)/ ميشال زكريا .ـ ط٢ .ـ بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٦٨.
- تشومسكي، فكره اللغوي وآراء النقاد فيه: إبراهيم السيد، صبري .ـ الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م.
- البحر المحيط/ لأبي حيان .ـ بيروت: دار الفكر، [دت.].
- دلائل الإعجاز/ عبدالقاهر الجرجاني .ـ بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٨.
- الرد على النحاة/ ابن مضاء القرطبي .ـ القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٩م.
- شرح المفصل/ لابن يعيش .ـ بيروت: عالم الكتب، [دت.].
- في علم اللغة التقابلي، دراسة تطبيقية/ أحمد سليمان ياقوت .ـ الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م.

ـ الكتاب/ لسيبويه .ـ القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣١٦هـ.

ـ المدارس النحوية/ شوقي ضيف .ـ ط٦ .ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٩م.

ـ النحو بين عبدالقاهر وتشومسكي/ محمد عبدالمطلب، مجلة فصول، (مج٥، ع١، ١٩٨٤م).

ـ النحو المصفى/ محمد عيد .ـ القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٧٥.

المصادر الأجنبية:

- Benveniste, E. Problemas de lingüística general, traducción española, México, Madrid, Buenos Aires, Siglo XXI editores, 1971, 2@ edición, 1972.
- Brace & World: Lenguaje y el entendimiento, traduccion española, Barcelona, Seix Barral, 1971.
- Cassirer, E.: Teoría del lenguaje y lingüística general, versíon espanola, Buenos Aires, Paidos, 1972.
- Cerda Masso, Ramon: Lingüística hoy, Barcelona, 1969.
- Contreras, Heles: El orden de palabras en espoñol, Madrid, Cátedra, 1978.
- Contreras, Heles: Los fundamentos de la gramática transformacional, México, Siglo XXI, 1971.
- Coseriu, Eugenio: Teoría del lenguaje y lingüística general, Madrid, Gredos, 1967.
- Chomsky, N. A.: Estructuras sintácticas, traducción española de C.-P. Otero, Siglo XXI, Madrid, 1975.
- Chomsky, N. A.: Aspectos de la teoría de sintáxis, traducción española de C.P.-Otero, Madrid, 1976.
- Fillmore, Ch. J.: Los fundamentos de la gramática transformacional, Antología preparada por Heles Contereras, México, Siglo XXI, 1971.
- Firth, J.R: Papers in linguistics, Oxford University Prees, 1969.

- Gili y Gaya, S.: Curso superior de sintaxis española, Barcelona, 3@ edición, 1961.
- Hartman R.R.K. & Stork, F C.: Dictionary of language and linguistics, London, applied Science Publishers, 1973.
- Humboldt, Wilhelm von: Sobre el estudio lingüístico comparativo en relación con las diversas épocas de la evolución de la lengua, traducción española, 1971.
- Manoliu, María: El estructuralismo lingüístico, traducción española, Madrid, Catedra, 1973.
- Meillet, Antoine: Linguistique historique et linguistique general, II, Paris, 1938.
- Nique, Christian: Introducción metódica a la gramática generativa, traducción española, Madrid, Cátedra, 1974.
- Real Acadmia Española: Esbozo de una nueva gramática de la lengua española, Madrid, 1973.
- Wandruszka, Mario: Nuestros idiomas comparables e incomparables, Madrid, Gredos, 1976.

* * *